" ظاهـــــرة الإتبـــــاع "

إعداد الباحث

صبري محمد عبد العظيم

إشراف

أ.م.د / محمود عمر

" ظاهـــــرة الإتبـــــاع "

إعداد الباحث
صبري محمد عبد العظيم

إشراف
أ.م.د / محمـــود عمـــر

(مستخلص الأطروحة)

يتلخص هذا البحث في محاولة تقصي الأحاجي النحوية الخاصة بالقراءات فى كتب الأحاجي اللغوية وبيان دورها فى إثراء الدرس النحوي ثم إمعان النظر فى اللغز النحوي وقدرته على احتضان القاعدة النحوية ثم تقصيها عند النحاة والمفسرين نظرًا لما لابد من تأثر تلك القراءة فى المعنى القرآني والتركيز فى ذلك على النحاة المفسرين الذين اعتمدوا فى تفاسيرهم على اللغة في المقام الأول كأمثال أبى حيان فى البحر المحيط والزمخشرى فى الكشاف والقرطبى فى الجامع...إلخ.

لنظفر من وراء ذلك بنتائج مهمة من شأنها إثراء بحثنا هذا بالقيمة العلمية

أهداف البحث :

نهـــدف بتلك الأطروحة إلقاء الضوء على القراءات القرآنية الواردة في كتب الأحاجى التى وضعهـــا الأقـــذاذ العباقرة الأوائل والتى فى ظاهرها مخالفة للتقعيد النحوى ثم استشهدنا عليها من الميراث العربى الأصيـــل شعـــره ونثره مع الاستدلال من كلام علمائنا الأجلاء سلفًا وخلفًا.

وقد استعنت بالله واستخرته تعالى أن يكون بحثي هذا متعلقا بكتاب الله أو أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم فما أعظمه من فضل حين يقضي الإنسان جلّ وقته وثمرة عمره فى دراسة شرعه يتفكر فى أحكامه وإعجازه ويكون خادمًا لدينه ليصدق فيه قوله: (ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ) " سورة فاطر- الآية ٣٢ " .

فكان من فضل الله-عز وجل- أن هدانى لما أراد إلى قدسية هذا الموضوع التى تكمن فى كونها دراسة متصلة بكتاب الله ثم لسد باب الذرائع أمام كل من تسول له نفسه الطعن فى القراءات القرآنية أو الطعن في مبادئ النحو فى ظل تلك الصيحة الرعناء التى

ظهرت فى عصور الظلام الحديثة لهدم قواعد اللغة تحت شعار ما يسمى بـ (إحياء أو تجديد) النحو وما هو إلا ما تنطوى عليه أنفسهم من تعريض وتبديد.

وثمة سبب آخر قد تدارك إلىَّ هو أن كثيرًا من الباحثين قد أفرطوا فى التماس القواعد النحوية من كلام العرب شعره ونثره–وقليل من هم أولئك– من وجهوا وجهتهم إلى نوادر اللغة ورونقها فرأيت أنه من الواجب–وليس من الفضل–التماس هذا الطريق اعترافًا بفضل لغتنا–لغة القرآن الكريم– وسلكت بابًا تغافل عنه الباحثون إما لوعورة الخوض فى هذا الفن الجليل–أو تجنبًا من انتقاد الناقدين–أو لغير ذلك من الأسباب كقلة المراجع فيه....إلخ.

ولكنني آثـرت–مستعينًا بالله وهو نعم المعين– اقتحام هذا الخصم الأعظم والسير في فيافى بعيدة الأمداء للوصول إلى إخراج هذا العمل إلى النور وحرصت كل الحرص– ديدنًا ومنهاجًا– تتبع القاعدة واقتضاء أثرها في كتب الأحاجي من خلال سبر أغوارها فى كتب الأولين والاستئناس بآراء المحدثين.

مصطلحات البحث :

القراءات لغـًة :

جمـع قـراءة وهى مصدر الفعل قرأ، وقرأت الشىء أى جمعتـه وضممـت بعضـه إلى بعض.

وفـى لسـان العرب تدور مادة (قرأ) حول معنى الجمع والاجتماع وهى مصدر من قرأت الشىء إذا جمعته.

قال ابن الأثير: كل شىء جمعته فقد قرأته وسمى القرآن قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض.

وقال الرازي: قرأ الكتاب قراءة وقرآنا بالضم وقرأ الشىء قرآنا بالضم أيضًا جمعه وضمه وقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ) أى قراءته.

وفـرق ابن القيم بين قرى يقري وبين قرأ يقرأ فالأولى من باب الياء من المعتل ومعناها الجمع والاجتماع.

والثانية من باب الهمز ومعناها الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد ومنه قراءة القرآن لأن قارئه يظهره ويخرجه مقدرًا محدودًا لا يزيد ولا ينقص.

واصطلاحًـــــا:

عرفها أبو حيان: بأنها علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن.

وعرفـــه الزركشى قال: القرآن هو الوحى المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها.

وعرفها ابن الجزرى قال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو ناقله.

وعرفها عبد الفتاح القاضى بقوله: علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريقة أدائها إتفاقًا واختلافًا مع عزو كل مرجه إلى ناقله.

وعند القسطلاني: علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

وعرفه طاش كبرى زادة: علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة وغير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة.

الدمياطـــى: علـــم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم فى الحذف والإثبات والتحريـــك والتسكيـــن والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغير ذلك من حيث السماع.

الزرقانـــى: مذهب يذهب إليه إمام من أئمـــة القراءة مخالفًا به غيره فى النطق بالقرآن مع اتفـــاق الروايـــات والطـــرق عنـــه سواء أكانت هذه المخالفة فى نطق الحروف أم فى نطق هيئتها.

وفي هذا المجال قدم الدكتور/محمد عمر بازمول ثلاثة تعريفات:

أ-مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى فى الحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

ب-مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل.

ج-مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله.

ويرى الباحث أن التعريف الأخير هو الأقرب لتعريف القراءات.

الأحاجي من حيثُ الاصطلاحُ في هذه الفنون: "علمُ الأَلغازِ وهذا من فروع علم البيانِ، وتفصيلُهُ يتوقَفُ على تقديم تعريفه، وذلك أن الألغاز دلالةُ الأَلفاظِ على المرادِ، دلالةً خفيةً في الغاية، لكنْ لا بحيثُ تنبوْ عنها الأَذهانُ السليمةُ بل يكونُ بحيثُ تستحسِنُها وتنشرِحُ إليها بشرطِ أن يكون المرادُ مِنَ الذواتِ الموجودةِ في الخارج، وَإما إنْ كانَ المرادُ اسمَ شيءٍ، سواءٌ أَكانَ من الإنسانِ أو من غيره يسمي مُعمَّى".

ولقد خُصَّ اللغزُ النحوي بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ حيثُ كان الاسمُ الغالبُ عليه قديمًا هو (علمُ الأحاجي والأُغلُوطاتِ) قال حاجي خليفة عنه في كشف الظنون : "وهذا من فروعِ اللغةِ والصرفِ والنحو، وهو علمٌ يبحثُ فيه عن الألفاظ المخالفةِ لقواعِد العربية بحسب الظاهر، وتطبيقها عليها، إذ لا يتيسرُ إدراجُها فيها بمجردِ القواعد المشهورة.

وموضوعه، الأَلفاظُ المذكورةُ من الحيثية المذكورة.

ومبادؤه مأخوذةٌ من العلومِ السابقةِ، وغرضه تحصيلُ ملكةِ تطبيقِ الأَلفاظِ التي تتراءَى بحسب الظاهرِ مخالفةً لقواعِدِ العربِ.

وغايتُهُ حفظُ القواعدِ العربية عن تطويق الاختلال" ولصاحب الكشاف-أي الزمخشري- في هذا العلم كتاب سماه (المحاجاة) وغير ذلك من الكتب".

ومن مسمَّيات اللَّغز أيضًا المعمَى والرمزُ والإشارةُ والتوجيهُ وقد عقد له ابنُ رشيق فصلًا في كتابه يبحث أَغراضَهُ ويوضح شواهدَه.

إنَّ صلاحيةَ التعويلِ على فهم المنهج الذي ساد إبَّانَ أُصولِ اللغة العربية قديمًا من خلال تطورها الواضح يجعلنا نستخلص العلاقة بين البداهة والاحتراف وبين السليقة والتكلفِ وذلك من خلال آثار الشعراء الجاهليين ومن الخطباء والكُهَّان والعرافين كشقّ وأنمار

وعراف اليمامة بحيث يتجلى أمام ناظرينا أسبابُ ودواعي ظهور مثل هذا اللون من الفنون في اللغة العربية والروافدُ التي ساعدتْ على ذلك.

***مقدمـة :**

تعد ظاهرة الإتباع اللغوي ظاهرة صوتية ذات تأثير كبير في التطور اللغوي؛ فهي خصيصة تتمتع بها اللغة العربية دون غيرها من سائر اللغات، وتلك الظاهرة تضرب بجذورها عند الأقدمين قبل المحدثين متناثرة في كتب اللغويين والمفسرين والقـراء وبيـن طيات المعاجم العربية.

***الأحجيـــة :**

وقد وردت تلك الظاهرة في كتب الأحاجي منها من نقله السيوطي عن ابن لُبٍّ النحوى في قوله:

ما اسـمٌ لـه حركـةٌ بعامـلِ *** ينسخها حركـــــةُ اقتـــرانِ

وعلَّـق عليـــه بقوله:"يعني مثل (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) فيمن كسر الدال ونحو: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ) فيمن ضم تاء (الملائكة) فحركة الإعراب ذهبت بحركة الإتباع وهي حركة الاقتران".

وقد تعددت مسميات تلك الظاهرة وتعددت أقسامها عند القدماء والمحدثين، فمن ذلك: (الإتباع الحركي-الاتساق الصوتي-التقريب-التجنيس-المماثلة-المشاكلة بين الحركات) وغير ذلك من تلك المسميات، التى سنراها فى هذا المبحث منسوبة لأصحابها فى مواضعها.

***الظاهـــرة فى كتب العلماء الأوائل :**

فقد فطن لها سيبويه وعنون لها فى كتابه فقال:

(هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه فالصاد تضارع الزاى إذا وقعت بعدها دال مثل أصدر) .

كما استعمل مصطلح التقريب مع الإمالة "هذا باب ما تمال فيه الألفات".

والمضارعة مع الصاد والزاى وأوضحه أيضًا فى باب الإدغام .

وفى الخصائص تحت باب الإدغام الأصغر" قد ثبت أن الإدغام المألوف هو تقريب صوت من صوت"، وقال: "ومن التقريب قولهم الحمدُ لُله والحمدِ لِله".

وفى منصفه أطلق عليه أسماءً عديدة (التجنيس والتقريب والتوافق والإتباع).

ففي تعليقه على جر (خربٍ) فى "هذا حجر ضبٍّ خربٍ" قال "فجروا (خربٍ) وهو صفة المرفوع ولكن لما ولي المجرور جر إتباعًا".

وعند المبرد: "وأتبعت الضمة الضمة كما أتبعت الفتحة الفتحة".

وابـــن يعيـــش: "والغـــرض مـــن الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل".

وابن الحاجب:"إن ميم الجمع إذاكانت بعدها هاء مكسورة فالأشهر فى الميم الكسر كقراءة أبى عمرو (عَلَيۡهِـمُ ٱلذِّلَّةُ) و(بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ) وذلك لإتباع الهاء".

ولم يقتصر وجوده على اللغويين فحسب بل فى كتب القراء والمفسرين كالبحر المحيط والكشف والحجة والجامع والنشر والمحتسب .

فضلًا عن المعاجم العربية فقد وجُدت المصطلحات على اختلافها فى طيات المعاجم كاللسان والتاج والصحاح والمخصص والجمهرة وغيرها فى (موادها).

وعرفه ابن فارس بقوله :

للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبَع الكلمةُ الكلمةَ على وزْنِها أو رَويِّها إشباعًا وتأكيدًا. ورُوِي أن بعضَ العرب سُئِل عن ذلك فقال: هو شيءٌ نَتِدُ به كلامنا. وذلك قولهم: ساغِبٌ لاغِب وهو خَبٌّ ضَب وخَرابٌ يَباب. وقد شاركت العَجَمُ العربَ في هذا الباب.

وفى معجمه الذى اختصره السيوطي في كتاب (الإلماع فى الإتباع) أطلق عليه اسم (المزاوجة) وقال:"هما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويٍّ واحد.

والآخـــر: أن يختلـــف الرويَّـــان، وإما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى، أو غير واضحة المعنى.

وعلل الكسائي الإتباع بأن الكلمة الثانية إنما هى تابعة للأولى على وجه التوكيد لها ولا يُتكلمُ بالثانية منفردة".

وفي المزهر:

"وقال التاج السبكى فى شرح منهاج البيضاوي: ظن بعض الناس أن التابع من قبيل المترادف لشبهه به، والحق الفرق بينهما، فإن المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئًا بل لشرط كونه مفيدًا تقدم الأول عليه كذا قاله الرازي".

وقال الأمدى: التابع لا يفيد معنى أصلًا ولهذا قال ابن دري: سألت أبا حاتم عن معنى قوله: (بسن) فقال: لا أدرى ما هو.

قال السبكى: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية فإن العرب لا تضعه سدًى، وجهلُ أبى حاتم بمعناه لا يضر بل مقتضى قوله إنه لا يدرى معناه أن له معنى وهو لا يعرفه.

وقسمه القالي فى أماليه: على ضربين: ضرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول، فيؤتي به توكيدًا، لأن لفظه مخالف للأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول".

***الظاهـرة عند المحدثين:**

وقد أدلى المحدثون بدلوهم فى ذلك تحت مسميات متعددة بعضها عند القدماء وبعضها من وضعهم ومن ذلك:

(المماثلة والمشابهة والانسجام الصوتي).

(والمماثلة والتقريب والانسجام) عند الدكتور/أحمد علم الدين، وكذا عند الدكتور/ مطر[والدكتور/رمضان عبد التواب والدكتور/عبد الصبور شاهين والدكتور/تمام حسان والدكتور/عبده الراجحى ، وأطلق عليه الدكتور/محمود فهمي حجازى(التوافق الحركى) فى كتابه أسس علم اللغة وسماه والدكتور/تمام حسان (المناسبة)، ومصطلح (المشاكلة) عند الدكتور/عبد الفتاح شلبى .

***أنـواع الإتبـاع عند المحدثيـن :**

وقد قسم اللغويون الإتباع تقسيمات عدة:

التقسيم الأول :

(أ)إتبـاع حركي إعرابي فى أبواب التوابع الخمسة.

(ب)إتبـــاع حركـــي فيمـــا ليـــس بإعراب ويطلق عليه الإتباع اللفظي (الإتباع والمزاوجة بين الألفاظ).

التقسيم الثاني :

الأول: إتباع حركي تام "كلى" وفيه :

أ- تماثل الحركة الحركة الأخرى نحو ضَرّ وبابه.

ب- وإتباع الحركة حركة أخرى أى قلبها إلى أخرى لتجانسها (صويًا).

ج- والإتباع الناتج عن قلب حركتى الضمة أو الكسرة إلى الفتحة (إتباع الحركة الحرف) نحو قأَلَ وبابه.

الثاني: إتباع حركي ناقص "جزئي": ويتمثل فى إتباع الحركة الحركة أو الحرف فى بعض خواصه النطقية دون أن تقلب إلى مماثل لها فالفتحة قصيرة كانت أو طويلة يتم النطق بها قريبة من الكسرة وهو من باب الإمالة ومنه نطق الفتحة القصيرة أو الطويلة قريبة من الضمة مجانسة لحروف التفخيم "عبدُالله" و"عبدَالله".

ويرى الباحث أن هذا التقسيم يبدو فيه الاضطراب لاختلاط الصوت عنده بالحرف ومثاله الذي ذكره (ضرَّ) ذكر فيه تماثل الحركة وليس كذلك بل هو تماثل الحرف وهو الراء المكررة.

التقسيـــم الثالـــث :

النوع الأول:

يتمثل في الصوائت والمقصود به تأثر صوت بصوت آخر مجاور له حيث يتبعه فى حركته فتحة أو كسرة أو ضمة مثل (رغْدًا-رغَدًا) بإسكان الغين وفتحها.

النوع الثاني:

يتمثل في الصوامت (الحروف) والمقصود به تأثر صوت بصوت مجاور له بحيث يكون الصوت المجاور أو المؤثر يشبه الصوت المتأثر في المخرج أو الصفة أو قريبًا منه، ويبدو في الظواهر اللغوية مثل: الإدغام والإعلال والتقاء الساكنين والإمالة والترقيق والتفخيم.

النوع الثالث:

أن تتبع الحركة الصوت المجاور لها ويتمثل في "النحو: حيث تتغير الحركة الإعرابية من ضمة إلى كسرة ومن فتحة إلى ضمة ومن كسرة إلى ضمة من أجل الإتباع أو ما يسمى بالمناسبة الصوتية وذلك بسبب الجوار فى الأسماء والأفعال ومن ذلك قراءة (الحمدُ لُله) بالضم فى الدال واللام وبكسرها "الحمدِ للِه" ومن ذلك "هذا حجر ضبٌّ خربٍ".

وهذا النوع الثالث من هذا التقسيم هو محل دراستنـــا.

التقسيـــم الرابـــــع :-

وهو تقسيم يتميز بالدقة والتفصيل عن التقسيمات السابقة.

أ-إتباع تقدمي. ب-إتباع رجعي.

أولاً: الإتبـــاع التقدمـــي:

إتباع حركة الحرف المتأخر لحركة الحرف المتقدم: وهو أن يتأثر الصوت المتأخر بالصوت المتقدم.

وهو ما سماه الدكتور/عبد الفتاح شلبى "بمشاكلة الاصطحاب" ومن ذلك كسر همزة أمّ إتباعًا لكسر ما قبلها فالأصل في همزة "أم" الضم ولكن قد تكسر همزتها إتباعًا لكسر الحرف السابق عليها.

كقراءة حمزة : "مِنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ" بكسر الهمزة إتباعًا لكسرة نون "بُطُونِ" وكسرة الميم إتباعًا لكسرة الهمزة.

وقراءة الكسائي : بكسر الهمزة وفتح الميم "مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ" فكسر الهمزة إتباعًا لكسر النون في "بُطُونِ" وأما فتح الميم فعلى الأصل ومثلها في"بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ".

وعلل النحاس ذلك بقوله: "فأما اللغة فى الكسر فإن هذه النقطة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولاسيما إذا كانت بعد كسرة فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شئ واحد والكسرة مع الكسرة أخف وكذلك الضمة مع الضمة" .

ونسب لهجة كسر الحرف الثاني إتباعًا لكسرة الحرف الأول إلى بعض قبائل نجد كطئ وكلب وهوازن وهذيل.

ومنها أيضًا قراءة "الحمدُ لُله" بضم اللام إتباعًا لضم الدال فقد أتبعوا حركة بناء حرف اللام فى "لُله" لحركة إعراب حرف الدال في "الحمدُ".

وهو ما علله ابن جنى بقوة اتصال المبتدأ بالخبر فقال: ومما يدل على شدة اتصال المبتدأ بخبره قراءة "الحمدُ لُله" بضم اللام ألا ترى أنه أشبه بـ "بُرُد" فالاتصال بينهما كالجزء الواحد وكذا "الحمدِ للهِ" بكسر الدال أشبه بـ "إبِل".

إلا أنه قد رجح قراءة الضم على الكسر لسببين :

الأول: أنه إذا كان إتباعًا فإن أقيس الإتباع أن يكون الثانى تابعًا للأول وذلك أنه جارٍ مجرى السبب والمسبب، وينبغى أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب.

الثاني: أن ضمة الدال إعراب وكسرة اللام بناء وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء فإن قلت بالضم جنى البناء على الإعراب الأقوى.

وقد نسب النحاس القراءتين فقال: وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة بالضم وهذه لغة بعض بنى ربيعة والكسر لغة بنى تميم .

***أثـــر المجاورة فى تقارض الحكم النحوى:**

تتبـع الكلمة جارتها فى بعض أحكامها أو صفاتها لمجرد مجاورتها إياها بسبب الإتباع الذي يهدف إلى الانسجام بين الصوامت والصوائت كقراءة الضم في (لَهُمُ نَارُ) لتجاور اللفظين سواء أكان ذلك بالضم الخالص كرواية أبى جعفر المدنى والإشمام من رواية ابن جماز، وعنه إشمام كسرتها بالضم والوجهان صحيحان .

ووجه الإشمام أنه أشار إلى الضم تنبيهًا على أن الهمزة المحذوفة التى هي همزة الوصل مضمومة حالة الابتداء .

وضعفها أبو البقاء "وقرىء بضمها وهى قراءة ضعيفة جدًّا وأحسن ما تحمل عليه أن يكون الراوي لم يضبط على القارىء وذلك أن يكون القارىء أشار إلى الضم تنبيهًا على أن الهمزة المحذوفة مضمومة فى الابتداء ولم يدرك الراوي هذه الإشارة".

ثم علل للقراءة بقوله: "وقيل إنه نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم إتباعًا لضمة الجيم وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف".

واضطربت ألفاظ الزجاج من تعظيم للراوى وتخطئة له.

"وقرأ أبو جعفر وحده بالضم وأبو جعفر من جلة أهل المدينة وأهل الثبت فى القراءة إلا أنه غلط فى هذا الحرف لأن (الملائكة) فى موضع خفض فلا يجوز أن يرفع المخفوض ولكنه شبه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل لأنك إذا ابتدأت قلت " اسْجُدُوا" وليس ينبغى أن يقرأ القرآن بتوهم غير الصواب".

وعلل الزمخشري لإبطالها بعدم جواز استهلاك الحركة الإعرابية.

"وقرأ أبو جعفر بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا فى لغة ضعيفة كقولهم: "الْحَمْدُ لُلَّهِ".

كما ضعفها ابن الأنبارى بحجة عدم قياسها "وأما قراءة أبى جعفر فضعيفة في القياس قليلة في الاستعمال".

وبلا سبب عند البغوى: "وضعفه النحاة جدًّا ونسبوه إلى الغلط فيه".

وأيدها القرطبى بمثال قراءة ابن عامر "أيهُ المؤمنون" قال: ضمها إتباعًا كقراءة ابن عامر "آيةُ المؤمنون" والمرسوم يؤيده.

واتبـــع ابن عطية الإنصاف فى رده على أدلة الكوفيين في حجتهم الواهية: "وهذا الذى ذهب إليه أبو جعفـــر إنما يجوز إذا كان ما قيل الهمزة حرفًا ساكنًا صحيحًا نحو قوله: "قالتُ أخرُج".

ونسبها ابن الجزرى إلى لغة أزد شنوءة "ووجه الضم أنهم استثقلوا الانتقال من الكسرة إلى الضمة إجراء للكسرة اللازمة مجرى العارضة وذلك لغة أزد شنوءة".

وعلل لها بقوله: "وقيل إن التاء تشبه ألف الوصل لأن الهمزة تسقط فى الدرج لأنها ليست بأصل وتاء الملائكة تسقط أيضًا لأنها ليست بأصل وقد ورد (لِلْمَلائِكَةُ) بغير تاء فلما أشبهتها ضمت كما تضم همزة الوصل".

ومنه هذا حجر ضبٌّ خربٍ.

ومنه "وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ " بجر "وَأَرْجُلَكُمْ " لمجاورتها لـ"رءوسكم".

وقول امرىء القيس:

كأَنَّ نَسْجَ العَنْكَبُوتِ المُرْمِلِ *** كَبِيْرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

وذلك بجر (مُزَمَّلِ) لمجاورتها (بِجَادٍ).

ويرى سيبويه أنه على غير القياس "ومما جرى نعتًا على غير وجه الكلام (ضبٍّ خربٍ) فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس لأن (خرب) "نعت للجر.....ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر".

وأما الخليل فلا يجيز الجر على الجوار إلا إذا استوى المتجاوران.

ويـــرى ابن هشام أنه شاذ لا يقاس عليه وذكره فى كتابيه المغنى والشذور بقوله: (الشئ يعفى حكم ما يجاوره).

وابن الحاجب بالمقال نفسه السابق وكذا المبرد.

بقوله: وقد حملهم قرب العامل على أن قال بعضهم "ضب خرب" وإنما الضمة للجر فكيف بما يصح معناه؛ فهو بذلك يجيز الجر على الجوار".

أما ابن جنى فقد رأى جوازه رغم مخالفته للإجماع الواقع عليه منذ بدء هذا العلم.

وابن الأنبارى: "واقع فى العربية ولكنه شاذ يقتصر فيه على السماع ولا يقاس عليه وأما بالنسبة للقــراء والمفسريــن فيرى أبو حيان أن جر الجوار يكون فى النعت وضعف قراءة "وَأَرْجُلَكُمْ " بالجر على الجوار.

وجــوزه الأخفــش وأبو البقاء والزمخشــرى وأنكره الفراء والزجاج وابن خالويه.

وفى قوله تعالى: "وَحُورٌ عِينٌ" بالجر لمجاورتها "وَأَبَارِيقَ" المجرورة قبلها.

فلا داعى للتعسف والتأويل طالما أن الجوار جاء في لغة العرب وقراءة الجر سبعية عن حمزة والكسائي وأثبتها العكبرى والدانى وابن الجزرى وكذا قراءة "ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ" بالجر المنسوبة إلى تميم والتي تعطى لونًا من الانسجام الصوتي وفى بيت امرئ القيس: الذي علق عليه ابن جنى بقوله:

وقد يكون أيضًا على هذا النحو من الجوار "بجادٍ مزملِ" فأما عندنا نحن فإنه أراد- يعنى الشاعر- مزمل فيه فحذف الجار فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول فلا داعي إلى التعسف ما دام هناك الجوار.

وقول العجاج : كأَنَّ غَزْلَ العَنْكَبُوتِ المرْمَلِ.

قال ابن جنى "وصوابه المرملا" فجره لمجاورة العنكبوت فهو نعت للنسج خلافًا لما يراه ابن الأنبارى من أنه وصف للعنكبوت.

والذى دفعه إلى ذلك هو حبه لمخالفة الكوفيين وتأييده للبصريين.

وقول دريد بن الصمة:

فطَاعَنْتُ عنهُ الخَيْلَ حتَّى تَبَدَّدَتْ وحتَّى عَلاني حالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ

ومنه:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

وقول الشاعر:

كَأَنَّما ضَرَبَتْ قُدّامَ أَعْيُنِها قُطْناً بِمُسْتحصِدِ الأَوتارِ مَحْلوجِ

وحقها النصب لكونها نعتا لـ "قطنًا" المنصوبة.

وقول الحطيئة:

فإيَّاكُـــمْ وحَيَّـــةَ بَطْـنِ وادٍ هَمُـوزَ النَّابِ ليْسَ لَكُمْ بِسِيِّ

الشاهـــد: جـــــر (همـــوزِ) وحقها النصب فهى صفة "لحية" المنصوبة على التحذير وقول النابغة.

لم يبقَ إلا أسير غير منفلت أو موثقٌ في حبال القوم مجنوب

بجر مجنوب وهى صفة لمرفوع (موثق) فاعل.

وقول زهير:

لَعِبَ الرِّيَاحُ بها وغَيَّرَهـــا بَعْدِي سَواقي المُـــورِ والقَطْـــرِ

بجر القطر مع أنه مرفوع بالعطف على (سواقي) فاعل.

وورد عن العرب ما يؤيده "ومثله ما حكى من أن امرأة رأت نساء معهن رجل". فقالـــت: "أفـــى ســـوءة أنتنه" بفتح التاء كأنها نوت الوقف على التاء ثم ألقت عليها حركة الهمزة.

"وإذا ثبت مثله فى لغة العرب فكيف ينكر؟".

"وقد نقل أنها لغة أزد شنوءة فلا ينبغي أن يخطئ القارئ بها ولا أن يغلط".

ومنه إتباع حركة الصوت الحلقى لحركة الصوت الذي قبله إذا كانت فتحة كما في قراءة إبراهيم النخعى ويحى بن وثاب فقط "رغْدًا" بإسكان والباقون رغَدا بالفتح.

قال أبو بكر في الرغَد لغتان والحركة حضرية والإسكان بدوى.

ونسب ابن جنى تحريك الساكن بالفتح إلى بنى عقيل تارة وتارة ينفيها عنهم وينسبها للشجرى فقط.

وربما أنه وجد ما يؤيد نسبتها إلى عقيل فأثبتها فى المحتسب لأنه ألفه بعد الخصائص.

ونسبت إلى بكر بن وائل ولا غرابة في ذلك فعقيل كانوا يسكنون البحرين وبكر بن وائل يسكنون اليمامة إلى البحرين ومن هنا جاء التشابه بين اللهجتين.

ومنه في الشعر قوله:

وَقَالَ اضْرِبِ السَّاقَيْنِ إِمِّكَ هَابِلُ

كسرت الهمزة فى كلمة (إِمِّكَ) إتباعًا لكسر النون في (السَّاقَيْنِ) وكسر ميم الكلمة إتباعًا لكسرة الهمزة وهذا هو إتباع الكسر الكسر.

وهو ما ورد فى القراءة ولا يجوز لأحد أن يخطئ القراءة ولا اللغة.

ومن أمثلة الإتباع التقدمي بالكسر قوله تعالى: (تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) حيث قرأ أبو السمال (كَلْمة وكِلْمة).

قال الفراء فى (كلمة) ثلاث لغات كَلِمة، وكِلْمة، وكَلْمة.

قال ابن منظور: الكِلْمة لغة تيمية والكَلِمة حجازية.

"وقد عرف عن الحجاز الميل إلى هذا النوع من الإتباع الذي يهدف إلى التمهل وإعطاء كل ذى حق حقه من الأصوات والحركات المتجاورة وهو من خصائص اللغات الحضرية بصورة عامة والحجاز أهل صفر بعكس تميم التي تلجأ فى مثل ذلك إلى الإسكان من أجل التخفيف وكذلك بكر بن وائل".

ومن الإتباع التقدمي بالضم "قراءة الأُذْن والأُذُن".

فالحجة لمن ضم "أُذُن" أنه أتبع الضم الضم والأصل الإسكان والحجة لمن أسكن أنه ثقل عليه توالى الضم فخفف وهما لغتان فصيحتان وبالإسكان قرأ نافع والباقون بالضم.

ومنه أيضاً قراءة ابن كثير: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾ بإسكان الدال، والحجة له في ذلك أنه كره توالى ضمتين في اسم فأسكن تخفيفًا أو يكون الإسكان لغة، والحجة لمن ضم أنه أتى بالكلمة على أصلها، والإتباع فى الضم وتفسيره أنه لما تجاوزت القاف والدال والقاف مضمومة وحجي الصوت المتقدم لذا تأثرت الدال بها فضمت تبعًا لها، وذلك ليكون عمل اللسان في النطق بالكلمة من جنس واحد وقد عزيت تلك اللغة للحجاز.

ثانيـــا: الإتبـــــاع الرجعـــى:

وسماه الدكتور/عبد الفتاح شلبى (مشاكلة التهيؤ) وهو أن يتأثر الصوت المتقدم بالصوت المتأخر كما أن الحركة المؤثرة قد تكون فتحة (سُكَٰرَىٰ) أو كسرة (عِتِيًّا) أو ضمة (رِضۡوَٰنَ) وفى الكشاف قرأ أبو جعفر من رواية ابن جماز (لَهُمۡ نَارٌ) بضم تاء "لَهُمۡ" إتباعًا لضم الجيم ولم يعتد بالساكن فاصلا ووافقه ابن شنبوذ.

ويهـــدف الإتبـــاع الرجعـــي إلـــى السرعـــة أكثـر من الإتباع التقدمي. وعلق الدكتور/عبد الصبور شاهين ذلك بالحالة النفسية فقال: "فإذا تحدثنا عن الوجهة العضوية لم نجد للماثلة الرجعية من تعليل سوى إسراع بحركات النطق عن مواضعها وبأن المماثلة التقدمية التزام هذه الحركـــات والجمود عليها، ولذلك نجد أن الإتباع الرجعي يحدث بكثرة فى اللغة بعكس الإتباع التقدمي".

وبذلك يتفق مع الدكتور/عبد الفتاح شلبى الذي يرى أن في الإتباع الرجعى أو ما يسميه بمشاكلة التهيؤ نوعًا من النشاط الفكرى والنطقي معًا وذلك بعكس ما يحدث من ضعف في النشاط أثناء الإتباع التقدمي أو ما يسميه بمشاكلة الاصطحاب.

ويرى الباحث أنه قد ثبت بتلك الأحجية صحة لغة تلك القراءة التى تضرب بجذورها عند القدماء قبل المحدثين وأنه من الخير اقتفاء أثر ابن سنان الخفاجي فى قوله: "إن النظر إذا سلط على علل النحويين لم يثبت معه إلا الفذ الفرد، بل لا يثبت شىء البتة ولذلك كان المصيب منهم أن يقول: هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك".

المراجـــــع

(١) كتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٢) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق/ محمد على النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
(٣) شرح شذور الذهب لابن هشام: تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
(٤) شرح المفصل لابن يعيش: تحقيق/إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق.
(٥) إعراب القراءات السبع وعللها لأبى خالويه، مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٦) النشر في القراءات العشر: محمد بن الجزرى، تحقيق/محمد سالم محيسن، مكتبة الصفا، القاهرة.
(٧) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات أبو الفتح عثمان بن جنى: تحقيق/على النجدى ناصف، عبد الفتاح سلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
(٨) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى، تحقيق/محمد إبراهيم الحفناوى، محمود حامد عثمان، دار الحديث،القاهرة.
(٩) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: لأبى البقاء العكبرى: تحقيق/إبراهيم عطوة، دار الحديث، القاهرة.
(١٠) معاني القرآن: للأخفش الأوسط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(١١) معاني القرآن للفراء: تحقيق/أحمد نجاتى، محمد على النجار، دار السرور.
(١٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: تحقيق/عبد الجليل شلبى، دار الحديث القاهرة.
(١٣) الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى:تحقيق/محمد محى الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة.
(١٤) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى: تحقيق/محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت.
(١٥) لسان العرب لابن منظور: دار صادر، بيروت.
(١٦) الهادى شرح طيبة النشر: محمد سالم محيسن، دار البيان العربى، القاهرة.

(١٧) الكتاب الموضح فى وجوه القراءات وعللها، أبو مريم نصر الشيرازي الفسوى، دار الصحابة–طنطا.
(١٨) الجامع الصحيح للبخاري من رواية أبى ذر الهروى: تحقيق/عبد القادر شيبة الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض.
(١٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني: تحقيق/عبد القادر شيبة الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر الرياضي.
(٢٠) زاد المعاد فى هدى خير العباد، لابن قيم الجوزية: تحقيق شعب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
(٢١) اقتضاء الصراط المستقيم: لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق/مصطفى العدوى، دار ابن رجب المنصورة.
(٢٢) مجموعة فتاوى أحمد بن تيمية: تحقيق/مروان كجك، دار الكلمة الطيبة، القاهرة.
(٢٣) الفهرست لابن النديم: تحقيق/ محمد عوني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
(٢٤) أساس البلاغة محمود بن عمر الزمخشري: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
(٢٥) النحو الوافى: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة.
(٢٦) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك: تحقيق/محمد محى الدين عبد الحميد، عادل عبد المنعم، دار الطلائع، القاهرة.
(٢٧) الصاحبى لأحمد بن فارس: تحقيق/السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة.
(٢٨) المزهر فى علوم اللغة جلال الدين السيوطي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
(٢٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، القاهرة.
(٣٠) الاستشهاد والاحتجاج باللغة: الدكتور/محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة.
(٣١) البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة.
(٣٢) المنصف شرح التصريف لأبى عثمان المازني لابن جنى: تحقيق/إبراهيم مصطفى–عبد الله أمين، ط/مصطفى الحلبى.

(٣٣) المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد: تحقيق/محمد عبد الخالق عضيمة، نشر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
(٣٤) اللهجات العربية في التراث: أحمد علم الدين الجندى، ط: الدار العربية للكتاب.
(٣٥) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: عبد العزيز مطر، نشر: الدار القومية للطباعة والنشر.
(٣٦) التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، الناشر، مكتبة الخانجي.
(٣٧) المنهج الصوتي للبنية العربية: عبد الصبور شاهين: الناشر:مؤسسة الرسالة.
(٣٨) منهاج البحث في اللغة: تمام حسان، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
(٣٩) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية.
(٤٠) أسس علم اللغة: محمود فهمي حجازي: دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة.
(٤١) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح شلبى، الناشر: دار الهلال: بيروت، دار الشروق.
(٤٢) مجلة مجمع اللغة العربية ، عدد (٨٩) ، بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠٠٧ .
(٤٣) الكشف عن وجوه القراءات:مكي بن أبى طالب، تحقيق/محى الدين رمضان، الناشر مجمع اللغة العربية بدمشق.
(٤٤) شرح الشافية لابن الحاجب: تأليف المرضى الاستراباذي محمد بن الحسن، تحقيق/حسن الحفظي–يحيى بشير، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٤٥) مجلة كلية اللغة العربية: جامعة الإمام/محمد بن سعود بالرياض.
(٤٦) التطور النحوى لبرجشتراسر: تحقيق/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٤٧) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة نهضة مصر.
(٤٨) إعراب القرآن: أحمد بن محمد النحاس: تحقيق/خالد العلي، الناشر: دار المعرفة.
(٤٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري: الناشر: دار الكتاب العربى، بيروت.
(٥٠) معالم التنزيل للبغوي: تحقيق عبد الرزاق المهدى، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت.
(٥١) المحرر الوجيز: (تفسير ابن عطية) عبد الحق بن غالب بن عطية، الناشر: دار ابن حزم.
(٥٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٥٣) ظاهرة التخفيف فى النحو العربى: أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية.
(٥٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: الناشر/دار الهداية، الكويت.
(٥٥) معجم القراءات للدكتور/عبد اللطيف الخطيب، دار/سعد الدين، دمشق.
(٥٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/عبد القادر البغدادي، تحقيق/عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٥٧) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية بن مالك ، أبو العرفان محمد بن على الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان:
(٥٨) *فتح القدير للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق–بيروت.
(٥٩) *همَع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، تحقيق/عبد العال سالم،مؤسسة الرسالة.